أعـــــراض

العشق وعلاماته

الخسارة فى الحب أفضل من خسارة الحب

ذكر حكماء الأوائل أن النفوس ثلاث :

نفس ناطقة ومحبتها منصرفة إلى المعرف واكتساب الفضائل .

ونفس حيوانية عصبية فمحبتها منصرفة نحو القهر والغلبة والرياسة .

ونفس شهوانية فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشارب والمناكح . فسبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعها .

فتستحسنه وتميل إليه ، وأكثر ذلك النظم ، ولا يكون ذلك باللمح بل بالتشبث من النظر ومعاودته ، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس ورامت القرب منه ثم تمنت الاستمتاع به ، فيصير فكرها فيه وتصويرها إياه فى الغيبة حاضرا ، وشغله كله به فيتجدد من ذلك أمراض لأنصراف الفكر إلى ذلك المعنى ، وكلما قويت الشهوة البدنية قوى الفكر فى ذلك .

وللحب علامات يقفوها الفطن ، ويهتدى إليها الذكى ، فأولها إدمان النظر ، والعين باب النفس الشارع ، وهى المنقبة عن سرائرها المعبرة لضمائرها ، والمعربة عن بواطنها فترى الناظر لا يطرف يتنقل بتنقل المحبوب وينزوى بأنزوائه ، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس .

ومنها حبسه نظره عن غير محبوبة .

ومنها : إغضاؤه عند نظر محبوبة إليه ورميه بطرفه نحو الأرض ، وذلك من مهابته له وحيائه منه منه وعظمته فى صدره .

ومنها : همل عينيه الدموع عن النظر على غير محبوبه .

ومنها : كثرة غيرته على محبوبة ، قال جميل لبثينة : ما رأيت عبد الله بن عمرو بن عثمان يخطر بالبلاط إلا أخذتنى الغيرة عليك وانت بالجناب .

ومنها : الإقبال بالحديث بما لا يكاد يقبل على سوى محبوبة ولو تعمد ذلك ، وإن التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه والإنصات لحديثه إذا حدث ، واستغراب كل ما يأتى به

ولو أنه عين المحال ، وخرق العادات ، وتصديقه ولن كذب ، وموافقتـــه ولن ظلـــم ، والشهادة له ولن جار ، واتباعه كيف سلك ، واى وجه من القول تناول .

ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه للقعود بقربه ، والدنو منه ، وإطراح الاشتغال (بالأشياء) الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقته والتباطؤ فى الشىء عن القيام عنه .

ومنها : البهت والروعة تبدوا على المحب عند رؤية المحبوب .

ومنها : اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبهه أو عند سماع اسمه .

ومنها : أن يحب جيرانه ومن ساكنه .

ومنها : اصفرار لون العاشق وحبس لسانه .

ومنها : أن يجود المحب بكل مايقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك كأنه هو الموهوب له ، وهذا قبل استعار نار الحب .

فإذا تمكن واخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا والإعراض عن كل ما حضر إلا عن المحبوب .

ومنها الأنبساط الكثير الزائد والتضايق فى المكان الواسع ، والمجانبة على الشىء يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفى ، والميل بالاتكاء ، والتعمد للمس اليد عن المحادثة ، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة ، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب فى الإناء ، وتحـــرى المكان الذى قابل فيه .

ومنها : علامات متضادة وهى على قدر الدواعى ، والعـــوارض الباعثـــة والأســـباب المحركة المهيجة ، والأضداد أنداد والأشياء إذا فرطت فى غايات تضادها ، ووقفت فى انتهاء حدود أخلاقها تشابهت قدرة من الله تعالى ، تضل فيها الأوهام ، وتقـــف دونـــها الأفهام .

ومنها : امتداد نفسه .

رب ليل امتدمن نفس العاشق طولا قطعته بانتحاب ..

ومنها : سروره بالصد .

ومنها : أنك تجد المحب يستدعي سماع أسم محبوبه ، ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيراه .

ومنها : حب الوحدة ، والأنس بالأنفراد ، ونحول الجسم دون حد يكون فيه ولا وجع مانع من التقلب والحركة والمشي ، دليل لا يكذب ومخبر لا يخون .

ومنها : القلق عند رجاء لقاء محبوبة فيعرض دونه حائل .

ومنها : وعيد حادث يحدث بينهما من عتاب لا يدرى حقيقته إلا بالوصف .

ومن أعراض المحبة الجزع الشديد ، والحمرة المقطعة تغلب عندما يرى من إعراض محبوبة .

ومنها : محبته أهل محبوبة وقرابته .

ومنها : البكاء والناس متفاوتون في كثرته وقلته .

ومنها : محبة سماع الأذى في محبوبه والعذل فيه .

ومنها : جمود العين عند التذكر أو الوداع .

ومنها : تركه للبكاء إشفاقا .

ومنها : عجزه عن حمل اللوم في محبوبة .

ومنها : سوء الظن ، واتهام كل كلمة من أحدهما وتوجيهها إلى غير توجيهها ، وهذا أصل العتاب بين المحبين .

ومنها كثرة شفقته على محبوبة حتى يؤديه لسوء الظن كما قيل في مثل قديم :

العشيق مولع بسوء الظن .

ثم إن أحوالهم في العشق تختلف ، فمنهم من يعشق أثرا راه ، كما يحكى أن رجلا عشق أثر كف أمرأة رأه في حائط ، فلما يئس أهله من صلاحه ، تركوه يوما حتى غاب لحاجته ، ومسحوا ذلك الأثر ، فلما قدم ولم يره بكى حتى مات .

ومنهم : من يحب فى النوم بشكل لا يعرفه فيهيم به .

ومنهم : من يحب بالوصف دون المعاينة ، ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن تصف المرأة لزوجها امرأة أخرى .

ومنهم : من يحب لسماع النغمة دون الرؤية .

ومنهم : من يعشق بالشم . والعين تعشق من تهوى وتبصره كذلك يعشق أيضا الأنف والأذن . ومما يخالف به العاشق غيره ، ان العرب كانوا إذا خرجوا فى سفر لا يلتفتون ومتى التفتوا تطيروا من ذلك ، إلا العشاق فإنهم يتفاءلون له بذلك ليرجع إلى من خلف . ذكره أبو عبيد البكرى فى كتاب الإحتفال .

ومنهم : من يحب من نظرة .

ومنهم : من لا يحب إلا مع المطاولة ، وكثرة المشاهدة ، وتمادى الأنس وإدمان النظر وطول الحديث ، فإن انضم إلى ذلك معانقة أو تقبيل فقد تم استحكام العشق .

وفى كتب الحكمة : إذا وصلت بلة من ريق المتحابين كل واحد منهما إلى معدة الآخر، اختلط ذلك بجميع البدن ووصل إلى جرم الكبد .

وكذلك إذا تنفس كل واحد منهما فى وجه صاحبه ، فإنه يخرج من ذلك النفس شىء من نسيمها فيختلط بأجزاء الهواء .

فإذا استنشقاه ودخل فى الخياشيم وصل بعضه إلى الدماغ فسرى به كمسريان النور فى جرم البللور ، ووصل بعضه إلى جرم الرئة ثم إلى القلب فيدب فى العروق الضوارب وفى جميع البدن ، وينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزجا فيتولد العشق وهذا هو الذى أميل إليه ، ويوشك أن يدوم ويثبت ولا يعمل فيه مر الليالى ، وعند الأمتحان يكرم المرء أو يهان .

قال المأمون (رحمه الله) فى كلام طويل : الحب ذل لذيذ يقوى بالمؤانسة .

وقال اعرابى : العشق نبت بذرة النظر ، وماؤه المزاورة ، وثمارة الوصل ، وقلعة الهجر وحصاده التجنى .

ومن المحبين من يكون شرس الأخلاق ، صعب الشكيمة ، جموح القياد ، فإذا أحب عاد صعب ذلك الأمر يسيرا وجليله حقيرا .

كما حكى عن بعضهم أنه كان بهذه السمة فلما أحب رجع عما كان يعهده من نفســـه ، حتى أنه كتب إلى عشيقته يوماً :

لكن ذل الحب يمنعنى من أن أحرك بالجواب فما .

ومنهم : من إذا بعد زاد عشقه وحنينه ، ومنهم عكس ذلك .

ومنهم : من لايطيب له العشق إلا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق .

ومنها : يغض للمحب سمعه وبصره .

يبقى إذا كلمته باهتا ونفسه مما بها سكرى تحسبه مستمتعا منصتا وقلبه فى أمة أخرى.